

## أغراض المدح في الشعر المملوكي

طالب الدكتوراه أصغر رحيمي

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آزاد الإسلامية آبادان - إيران

asgharrahimi537@gmail.com

الدكتور عبد الرضا عطاشي

الأستاذ المشارك - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آزاد الإسلامية آبادان - إيران

abdolrezaattashi2014@gmail.com

الدكتور عبد الكريم أبوغبيش

الأستاذ المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آزاد الإسلامية آبادان - إيران

Dr.kerim.5151.Gmail.com

## Praise purposes in Mamluk poetry

**PhD student Asghar Rahimi PhD student**

Department of Arabic Language and Literature - Islamic Azad  
University Abadan - Iran

**Dr. Abd Al-Ridha Atashi**

Associate Professor - Department of Arabic Language and  
Literature - Islamic Azad University Abadan - Iran

**Dr. Abdul-Karim Al-Abu Ghubaysh**

Assistant Professor - Department of Arabic Language and Literature  
- Islamic Azad University, Abadan - Iran

## **Abstract:-**

The attempt in this research is to reveal the purposes for which poets in the Mamluki era used their poetic praise. The research shows that there are many purposes, including religion, such as the praise of the Holy Prophet (PBUH) and the opposition of the Purdue, in order to win and win the hearts of the princes in order to give or praise military victories, These and other incentives were marketed by poets to the use of poetic art. In this study, following the definition of the Mamluk era and the poetry of the Prophet, we tried to explain the purposes that were used to poets to use this poetic art. For this reason, we have elected some famous poets and worshipers such as Safi al-Din al-Hali, Ibn Nabatah al-Masri, al-Azazi, al-Qasim ibn 'A'ari, Ali ibn 'Aqba, Sulaiman al-Nabhani, Ibn Hajjat al-Hamawi and Ibn Daqeeq al-'Eid. Through the research, we find that the preachers in the era of religious faith, such as the praise of the Prophet (PBUH) and the people of his house, and also praise the princes and friends and praise the self as well.

**Keywords:** purposes, praise, the Mamluk era, self-praise, praise of others.

## **المخلص:-**

المحاولة في هذا البحث هي الكشف عن الأغراض التي من أجلها كان الشعراء في العصر المملوكي يستخدمون مدحهم الشعري. ومن خلال البحث تبين أن هناك أغراض عديدة منها دينية كمدح الرسول الأكرم ﷺ ومعارضة البردة ومنها من أجل التكسب واستمالة قلوب الأمراء من أجل العطاء أو الإشادة بالانتصارات العسكرية ومنها كانت ودية. هذه الحوافز وغيرها كانت تسوق الشعراء إلى استخدام هذا الفن الشعري. حاولنا في هذه الدراسة بعد التعريف بالعصر المملوكي والشعر المديح أن نبين الأغراض التي كانت تحدو بالشعراء لاستخدام هذا الفن الشعري من أجل ذلك انتخبنا بعض الشعراء المشهورين والمتولين بالمدح منهم صفى الدين الحلبي، ابن نباتة المصري، العزازي، القاسم بن علي، علي بن عقبة، سليمان النبهاني، ابن حجة الحموي، ابن دقيق العيد. من خلال البحث وجدنا أن للمدح في تلك الحقبة صبغة دينية كمدح النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته وكذلك مدح الأمراء والأصدقاء ومدح الذات أيضاً.

**الكلمات المفتاحية:** إغراض، المدح، عصر المماليك، مدح الذات، مدح الغير.

## المقدمة:

عصر المماليك الذي يعتبر من سنة ٦٤٨ - ٩٢٣هـ كان مليئاً بالأحداث الجسيمة والتطورات الأدبية المتنوعة وقد برع شعراء تلك الحقبة في أنواع الفنون الشعرية منها المدح بأنواعه المتعددة وكانت له أغراض شتى.

يعتبر شعر المدح باب من أبواب الشعر العربي الواسعة، ويشمل عدة أفرع منها: مدح الذات، ومدح الآخر، وهو من أشهر الأغراض التي نظم فيها الشعراء في العصر القديم والحديث، وستعرف في هذا المقال على مفهومه لغةً واصطلاحاً، وعلى بعض شعرائه، ومراحل نشأته في عصر المماليك. وإن تفاوتت فيه عناصر القوة والضعف، وقد سجّل لنا مدح الشعراء في عصر المماليك، الإشادة بالشجاعة والكرم والفضل والعطاء وكذلك بطولات بعض الأمراء والمجاهدين في مقاومتهم للصليبيين والتتار والمغول. والمدح له مدلولات ومصاديق متفاوتة يقول سلوم: ((إنّ الشعر كلّهُ مدح، فإذا مدح الشاعر النساء والفتيات يكون غرضه غزلاً وإذا مدح الشاعر الميت نسمي هذا الغرض رثاء وإذا مدح الشاعر نفسه فهذا الغرض يسمى فخراً وإذا مدح الأشياء الجامدة يسمى هذا الغرض وصفاً وإذا مدح الأشخاص الأحياء نسمي هذا الغرض مديحاً (سلوم، ٢٠١٣، ص ٢).

### ١- مفهوم المدح وتعريفه

#### أ- المدح لغةً:

جاء تعريف المدح في كتب اللغة: مدح: المَدْحُ: تقيضُ الهجاءِ وهو حُسْنُ الثناءِ يقال: مَدَحْتُهُ مَدْحَةً واحدةً ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا ومَدْحَةً، هذا قول بعضهم، والصحيح أن المَدْحَ المصدر، والمِدْحَةَ الاسم، والجمع مَدَحٌ، وهو المَدِيحُ والجمع المَدَائِحُ والأُمَادِيحُ. (ابن منظور، ١٤١٥، ج ٢، ص ٥٨٩). قال أبو ذؤيب:

لو كان مَدْحَةً حَيٌّ مُنْشَرًا أَحَدًا، أَحْيَا أَبَاكَنَّ، يَا لَيْلَى، الْأَمَادِيحُ

(أبو ذؤيب الهذلي، ٢٠٠٣، ٤٣)

والمدح: الثناء الحسن. ومدحه وامتدحه بمعنى، وكذا المدحة بكسر الميم. ومدحته من باب نفع: أثبت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية، ولهذا كان المدح

أعم من الحمد (طريحي، ١٤١٢، ج ٢، ص ٤١١). نعني بالمدائح جمع مديح من الشعر، والذي مُدح به كالمدحة والأمدوحة، ورجل مَدَح من قوم مَدَح، ومديح، وممدوح.

## ب: المدح اصطلاحاً:

هو تعداد لجميل المزايا والخصال، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهاراً للتقدير العظيم الذي يحمله الشاعر لمن توفرت فيه تلك الصفات. (عبد النور، ١٩٨٤، ص ٢٤٥).

يعتبر المدح من الأغراض الشعرية الرئيسية التي تناولتها القصيدة العربية، ثم يتفرع كل غرض إلى فروع، فيكون من المدح مثلاً: المراثي والفخر، والشكر، واللفظ واللين في المسألة. المدح في الشعر العربي تطور المدح منذ نشأة الشعر العربي، فقد كان من أهم الموضوعات التي تتطرق لها القصيدة، حيث أصبح فناً قائماً بذاته بصفته غرضاً من أغراضها، فرغبة الشاعر في إظهار إعجابه بممدوحه تدفعه إلى إتقان هذا الفن من الكلام، حيث يسعى إلى نظم الشعر الذي يتضمن الثناء والشكر. ووصلت هذه الحالة إلى الشعر في عصر المماليك.

## ٢- المدح الديني

عندما نتصفح الدواوين الشعرية في العصر المملوكي نجد المدح له صبغة دينية، وذلك إما مدح الرسول الأكرم ﷺ و كان ذلك علي منهج البردة وإما مدح رجال الدين و الأولياء الصالحين من أمثال إمام علي عليه السلام.

يقول ابن دقيق العيد في ذكر مبعث الرسول الأكرم ﷺ مادحاً

بَعَثَهُ بَعَثَ كُلَّ خَيْرٍ وَمَيْلًا      دُ الْهُدَى وَالتَّقِي مَعَا مَيْلَاذُهُ  
فَالْعَالِي لِنَاذِرِهِ وَعَلْوَمُ      الْغَيْبِ لِنَاذِرِهِ وَمِنْهَا مِدَادُهُ

(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٦٩٦)

وأما في مجال معارضة البردة فإن الكثير من شعراء في تلك الحقبة عمدوا لإظهار مقدرتهم الشعرية. فتهجوا ذلك المنهج. علي سبيل المثال نجد ذلك في ديوان شهاب الدين العزازي و من شعراء العصر المملوكي، يجيد نظم الشعر والموشحات. ولد عام ٦٣٣ هـ، في بلدة أعزاز، وتوفي في محرم، (٧١٠هـ) بالقاهرة قال عنه صلاح الدين الصفدي: (كان مطبوعاً

أغراض المدح في الشعر المملوكي ..... (١٨٧)

ظريفاً جيد النظم في الشعر والموشحات)، ولقبة في توشيع التوشيح ب: (الأديب الوشاح).

وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا كَرَّرَ عَلَيَّ أَذْنِي حَدِيثَهُنَّ فَمَا التَّكَرَّارُ مَمْلُوءٌ

(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٧٠٢)

من خلال سيرة العزازي وشعره يتضح أنه يميل إلى التشيع الذي ربما كان لاتصال نسبه بالحسين بن علي عليه السلام بعض الأثر فيه، وعلى كل حال فإن هذا التشيع لديه إنما هو تشيع هوى لا عقيدة، إذ كما يطري آل البيت، ويتفجع لمصائبهم، ويعزي الأمة بهم، ويشيد بأخلاقهم ومكارمهم، وهذا أمر محمود في جملته، وجرى عليه كثير من العلماء والعامّة، ويقر به الباقون وإن لم يداوموا على إعلانه، وهو يخالف غلاة الشيعة الذين يتبرؤون من بعض الصحابة -رضوان الله عليهم-، فهو لا يذم أحد منهم، بل يشيد بمن يأتي به السياق، وهاهو يشيد بعدل خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب في سياق مديح

وَأَعَادَ فِينَا سِيرَةَ عُمَيْرِيَّةَ حَتَّى رَأَيْنَا الْحَقَّ عَادَ كَمَا بَدَأَ

فالعزازي شاعر مديح في المقام الأول، فمعظم شعره منتظم في سلك المديح، ويبدو ان العزازي من خلال شعره وسيرته لم يكن يمدح بقصد التكسب الذي يقوم عليه بعض دخله، فهو تاخر لم تلزمه الحاجة إلى عرض شعره كما يعرض بضاعته، ولكن هذا لاينفي رغبته في الحصول على العطايا من جهة، والفوز بالخطوة لدى الوجهاء من جهة أخرى هي في زعم الباحثون أجل لديه من الحصول على العطايا.

يشكل المدح القسم الأكبر من ديوان الشاعر العزازي، ويلخص العزازي في مدائحه، ويبدل فيها قصارى جهده الإبداعي، وبخاصة لدى من يقدر مدائحه حق قدرها، ومن مدائحه قوله في السلطان المظفر تقي الدين أبي الفتح محمود بن شاهنشاه: فله قصيدة عنوانها: ((قصيدة: وما عاودته أبغي نداء)) يقول فيها:

وَأَسْأَلُ رَفْدَهُ إِلَى بَدَانِي

وَأَعْلَى فِي الْكِرَامَةِ مِنْ مَكَانِي

بِذِكْرِكَ لَمْ يَزَلْ رَطْبَ اللِّسَانِ

كَمَا مَالَتْ بِهِ بِنْتُ الدَّنَانِ

وَمَا عَاوَدْتُهُ أَبْغِي نَدَاءَهُ

فَكَمْ أَعْلَى مَهْوَرِ بِنَاتِ فِكْرِي

أَبَا الْفَتْحِ اسْتَمَعَهَا مِنْ وَلِي

مَنْقُحَةً تَمِيلُ بِكُلِّ عَطْفِ

إذا وشي المدائح فيك فكري      فلا تستطرف الوشيَ اليماني  
(العزازي، ١٩٩٨، ص ٣١١)

ونرى ابن حجة الحموي يمدح رسول الله وهو إمام أهل الأدب في عصره. وكان شاعراً جيد الإنشاء. من أهل حماة (بسورية) ولد ونشأ ومات فيها. زار القاهرة والتقى بعلمائها واتصل بملوكها. وكان طويل النفس في النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، فيه شيء من الزهو والإعجاب. اتخذ عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له، في صباه، فنسب إليها.

محمد بن الذبيحين الأمين      أبو البتول خير نبي في أطرادهم  
أبدي البديع له الوصف البديع      وفي نظم البديع حلا ترديده بضمي  
كررت مدحي حلا في الزائد الكرم      ابن الزائد الكرم بن الزائد الكرم  
(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٨٤٣)

القصد من الذبيحين هما اسماعيل بن إبراهيم و عبدالله والد الرسول الأكرم ﷺ  
وكررت: أي رددت.

### ٣- مدح الإمام علي عليه السلام

نجد في تلك الفتر بعض الشعراء بما لديهم من الحبي الروحية والإيمانية أخذوا يمدحون برجال الدين والإمام علي عليه السلام خاصة ويتطقون إلى خلفته ووصية الرسول الأكرم ﷺ بحقه. فلذا الشيخ صفي الدين عبد العزيز بن السرايا الحلبي: كان عالماً، فاضلاً، شاعراً، أديباً، منشئاً، من تلامذة المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي، له القصيدة البديعة مائة وخمسة وأربعون بيتاً تشتمل على مائة وخمسين نوعاً من أنواع البديع، وله شرحها وديوان شعر كبير، وديوان صغير، وله قصائد محبوكات الطرفين جيدة ثمان وعشر ونبينا. وله مدائح كثيرة في أهل البيت عليه السلام، منها قوله في مدح الإمام علي عليه السلام:

فَوَاللَّهِ مَا اخْتَارَ الْإِلَٰهَ مُحَمَّدًا      حَبِيبًا وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ لَهُ مِثْلُ  
كَذَلِكَ مَا اخْتَارَ النَّبِيُّ لِنَفْسِهِ      عَلِيًّا وَصِيًّا وَهُوَ لِابْتِئَانِهِ بَعْلُ  
وَصِيْرَهُ دُونَ الْأَنْبَاءِ أَخَا لَهُ      وَصِنُوا وَفِيهِمْ مَنْ لَهُ دَوْلُهُ الْفَضْلُ

وَشَاهِدُ عَقْلِ الْمَرْءِ حُسْنُ اخْتِيَارِهِ      فَمَا حَالُ مَنْ يَخْتَارُهُ اللَّهُ وَالرُّسُلُ

### ٤- مدح الأمراء

تولّع الكثير من شعراء عصر المماليك بتمجيد و مدح الأمراء، لأنهم كانوا في ذلك الوقت يدافعون عن بيضة الإسلام؛ لأنّ الاجتياح المغولي كاد أن يقضي علي الأمة الإسلامية و حضارتها.

ف نجد سليمان النبهاني العماني وهو ملك و شاعر، من بني نبهان (ملوك عُمان)، يمدح الأمير و القائد المغوار في قصيدة عنوانها: ((نعم ساورَ الهمُّ الفؤاد فأبهرًا)) وقد خرج على الإمام أبي الحسن بن عبد السلام النزوي. واستولى على عُمان (بعد ذهاب دولة آباءه النبهانيين) و حكمها مدة و خلفه بإمامة أهل عُمان محمد بن إسماعيل. وكان شاعراً حماسياً مجيداً فيقول في مدحه:

سَلِيلُ مَلُوكٍ مِنْ عَرَابِينَ يَعْزِبُ      بِهَا لَيْلَ كَسْرَى قَدْ أَذْتُوا وَ قِصِرَا  
هُوَ الْمُنَزَّلُ الْأَعْدَاءِ مِنْ بَعْدِ عَزْمِهِمْ      مَنَازِلَ لَا يَرْضَى بِهَا الضُّبَّ مَجْحَرَا  
هُوَ الْمَلْبَسُ اللَّيْثُ الْمُهَابُ رَثِيْرِهِ      نَسِيْجِينَ مِنْ ذَلِّ رِدَاءٍ وَمِئْزِرَا  
هُوَ الْقَائِدُ الْجُرْدُ الْخَنَازِيْدُ لِلْعَدَى      قَوَاحِلَ شَعْتًا كَالسَّرَاحِينَ ضَمْرَا  
صَدُوْعٌ يَعْزِمُ ثَاقِبٍ وَبِهِمَّةٍ      وَرَأْيٍ يُرِيْهِ مُضْمَرَ الْغِيْبِ مُظْهَرَا  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ سُوْرَةً      وَعِزًّا عَلَى كُلِّ الْمَلُوكِ مُؤَزَّرَا  
نَمَاهُ إِلَى الْعِلْيَاءِ عَمْرٌ وَعَامرٌ      فَبُورِكَ عَيْصًا لَا يُشَابُ وَمُقْحَرَا  
أَوْلَتْكَ أَرْبَابُ الْخَلَافَةِ وَالْعُلَى      وَأَشْرَفُ مَنْ قَدْ حَارَ أَمْرًا وَأَمْرَا

ونراه في الأبيات التالية يفخر بنفسه و قومه و هذا هو مدح الذات:

فَمَنْ يَكُ عَنَا أَيُّهَا النَّاسُ سَائِلًا      فَإِنَّا مَلُوكُ النَّاسِ مِنْ آلِ حَمِيْرَا  
حَلَلْنَا مَقَامًا تَقْصُرُ الشُّهْبُ دُونَهُ      وَنَرْجُو عَلَى مَا دُونَهُ الشُّهْبُ مُظْهَرَا

وشاعر وأديب نراه يستخدم أسلوب المدح لأحد القادة و الأمراء فط ساحة المعركة، ويقال له ابن قرناص شهرةً لجدّه الأعلى هبة الله بن علي المعروف بقرناص. مارس الأدب

(١٩٠) ..... أغراض المدح في الشعر المملوكي

حتى شبّ شاعراً مبدعاً، وكاتباً بارعاً. وكان عارفاً بعلوم اللغة العربية وآدابها معرفة جيدة ومتقنة، وأكبّ على دواوين الشعراء الذين سبقوه، ويستوعب ويضمّن شعره من أشعارهم. كان محي الدين بن قرناص موضع إجلال واحترام من لدن أصحاب السلطان في بلاد الشام، وكتب الرسائل الديوانية والأخوانية. وكان يتبادل الرسائل مع كثير من أصدقائه ومعارفه، أمثال: القاضي تاج الدين بن الأثير، وابن خلّكان، وابن العديم.

يمدح ابن قرناص الممدوح مشبهاً بسقوط رؤوس الأعداء بالبطيخ وقد حززتها سيوف الممدوح فيقول:

حَلَلْنَا بِمَيْقَاتِهِ الْأَمِيرِ وَقَدْ جَرِي  
وَلَا حَ بِهَا الْبَطِيخُ وَهُوَ كَأَنَّه  
بِهَا جُودٌ كَفِيهِ كَوْبَلِ الْعَمَائِمِ  
رُؤُوسِ الْأَعْدَادِ حُرِّزَتْ بِالصَّوَارِمِ  
(الصفدي، ١٩٩٩، ٣٦٠)  
مَبَارَزُ الدِّينِيَا مِنْ جُودِ رَاحَتِهِ  
وَفَضْلِهِ فِي الْوَرِييرِي عَلِي السُّحْبِ  
(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٦٣٠)

قال علي بن عقبة يمدح آل جعفر (وهم الذين اضطروه إلى مبارحة بلده) مادحاً وشاكياً:

أَهْلُ الْمَكَارِمِ وَالْفَضَائِلِ وَالْعُلَا  
وَمُلُوكُ كُنْدَةَ فِي الْقَدِيمِ وَبَعْدَ مَا  
وَمَلَاذُ كُلِّ مُطَرِّدٍ مُنْقَرٍ  
جَاءَ الْبَيَانُ عَلِي لِسَانِ الْمُنْزِرِ  
(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٦٨١)

قال القاسم بن علي يمدح بن هتميل يمدح أحمد المتوكل الثاني ابن أحمد المتوكل الأول صاحب ظفار من بني سليمان العلويين:

أَنَا مِنْ نَاطِرِي عَلِيكَ أَغَارُ  
حُفْظَ اللَّهِ أَحْمَدَ حَيْثَمَا كَانَ  
وَأَرَعَنِي مَا حَالَ عَنْهُ الْخِمَارُ  
وَجَادَثُهُ دَيْمَةً مَدْرَارُ  
الشَّرِيفُ الدُّشَرِيفُ وَالْجَوْهَرُ  
الْجَوْهَرُ الْخَالِصُ النَّضَارُ النَّضَارُ  
(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٦٩٣)

ويبدو أن مديح العزازي ينبع غالباً من قرارة نفسه، وبخاصة تجاه ملوك حماة الأيوبيين، ومهما يكن فـ (سواء أكان المديح نابعاً من قرارة نفس المادح، أم كان وسيلة زلفى إى من شعر أنهم يفوقونه قوة، أو مالاً، أو مزايا خلقية، فهو إقرار بالرياسة والزعامة، واعتراف بالفضل والمكانة).

ومن مدائحه قوله في السلطان الملك المنصور أبي المعالي ناصر الدين محمد:

لا أراني الله في طاعته \_\_\_\_\_  
ومتى غيرت إخلاصي له \_\_\_\_\_  
ثانياً عطف ثنائي أو عصياً  
كنت في ما أدعي منه دعيماً

(العزازي، ١٩٩٨، ص: ٢١٢)

ولعل هذا الانصراف إلى سلاطين حماة معزز بالانتماء الذي يستشعره العزازي تجاه موطنه.

وقد قاربت مدائح العزازي المئة مديحة ما بين قصيدة ومقطعة، ومن هذه المدائح ما كان في الملوك وبخاصة ملوك حماة الأيوبيين، وكذلك كانت للعزازي مدائح في سلاطين المماليك والأمراء والوزراء والقضاة والأعيان.

والذي يتوقف المرء عنده هو غزارة مدحه لملوك حماة الأيوبيين مع أنه كان يقيم في القاهرة، وقد بلغت علاقته بهم حداً لما تبلغه مع أحد، وقلما بلغه شاعر لدى ممدوح، وتظهر القصائد أنه كان على علاقة حميمة تكان تكون ندية بينه وبينهم دون استثناء وعلى رأس هؤلاء الملك المنصور والملك المظفر ابنه.

على إثر هذه التقلبات السياسية على الصعيد الخارجي كان العزازي حاضراً بشعره لتسجيل كثير من المعارك الحربية التي خاضتها دولة المماليك ضد التتار والصليبيين، إذ كان يمدح الملوك والولاة، وذكر انتصاراتهم، وكسر شوكة الأعداء، ومن ذلك مدحه للملك سيف الدين قلاوون، وإشادته بأحد انتصاراته، يقول:

فتحت التي أعياء الملوك افتتاحها \_\_\_\_\_  
طرابلس لولاك طال امتناعها \_\_\_\_\_  
ولم يغنها عصيانها وجماحها  
وأعضل منها حربها وكفاحها

(١٩٢) ..... أغراض المدح في الشعر المملوكي

ولو لم تحاربها لحاربها القضا  
وأخنى عليها ثيلها وصباحها  
ولما طغت أعمالها وكنودها  
عتوا وهب بالعقوق رياحها  
نهضت إليها في جحافلك التي  
يحوم عليها يمنها ونجاحها

(العزالي، ١٩٩٨، ص: ١٤٧)

ومثل هذا كثير في شعر العزالي، حتى إنه لم يجد الباحثون قدراً كبيراً من المدائح التي ارتبطت بانتصارات السلاطين والولادة وفتوحاتهم، وقد تنوعت هذه المدائح بتنوع انتصارات المدوحين، ولعه بهذا فاق سابقه من الشعراء الذين كانوا يرتبطون بعدد أقل من الملوك.

ولاهتمام امتداد العصر الأيوبي إلى العصر المملوكي بالحركة العلمية والفكري حيث تنافس سلاطين المماليك في إنشاء المدارس والمكتبات، وبناء المساجد، وتشجيع أهل العلم، وإجزال العطاء للكتاب والمؤلفين ورعاية طلاب العلم، أثره البالغ في تكون رؤية العزالي التراثية والثقافية، إذ إنه كان يميل إلى التبحر في التراث، والاستزادة منه قدر المستطاع، وهذا الأمر ظاهر في شعره، فالمطلع عليه يجده زاخراً بالتراث على المستويين المضموني والفني.

مدح صفى الدين السلطان الناصر قلاوون بقصيدة وازي بها قصيدة المتنبي في كافور:  
بأبي الشموس الجانحات غواربا)) من خلال هذا العرض ينوه الشاعر إلى محامد المدوح السلطان ناصر القلاوون:

فَمَوَاهِبُ السُّلْطَانِ قَدْ كَسَتِ الْوَرَى  
نِعْمًا وَتَدْعُوهُ الْقَسَاوِرُ سَائِبَا  
الْناصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ  
صَيْدُ الْمُلُوكِ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَا

إن هذا الملك الراحة في اكتساب المكارم والعودة عن القتال يراها متعابها بتلك المكارم يجعل البر بجرا:

مَلِكٌ يَرَى تَعَبَ الْمَكَارِمِ رَاحَةً  
وَيَعُدُّ رَاحَاتِ الْقِرَاعِ مَتَاعِبَا  
بِمَكَارِمٍ تَنْزُرُ السَّبَاسِبَ أَبْحُرًا  
وَعَزَائِمٍ تَنْزُرُ الْبِحَارَ وَمُحَارِبَا

الجميع يمدح السلطان لأن عطاياه عمت الجميع وإن لم يكن هناك ذكر للسلطان فتكون رماحا وسيوفًا:

أغراض المدح في الشعر المملوكي ..... (١٩٣)

لَم تَحُلْ أَرْضٌ مِنْ ثَنَاهُ وَإِنْ خَلَّتْ      مِنْ ذِكْرِهِ مُلِنَتْ قَنَاءً وَقَوَاصِبَا  
ثَرَجَى مَوَاهِبُهُ وَيُرْهَبُ بِطَشُهُ      مِثْلَ الزَّمَانِ مُسَالِمًا وَمُحَارِبَا  
فَإِذَا سَطَا مَلَأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً      وَإِذَا سَخَا مَلَأَ الْعُيُونَ مَوَاهِبَا  
كَالْقَيْثِ يَبْعَثُ مِنْ عَطَاهُ وَإِبَالاً      سَبْطًا وَيُرْسِلُ مِنْ سَطَاهُ حَاصِبَا

يشير الشاعر إلى بطولات الممدوح ويثبت لها صفات الأسد الشسو الوثاب ثم يشبه الممدوح بالسيف البراق مظهر او البتار في ساحة الوغى:

كَالْقَيْثِ يَحْمِي غَابَهُ بِزَنْبِيرِهِ      طَوْرًا وَيُنْشِبُ فِي الْقَنْيِصِ مَخَالِبَا  
كَالسَّيْفِ يُبَدِي لِلنَّوَظِرِ مَنَظَرًا      طَلْقًا وَيَمْضِي فِي الْهَيْجِاجِ مَضَارِبَا

ثم يشبه ممدوحه بالسيل الجارف الذي يخلف الماء العذب فهو ممدوح من جهة الخير والعطاء وبغيض للأعداء وهو كالبحر في العطايا والمنظر العجيب:

كَالسَّيْلِ يُحْمَدُ مِنْهُ عَذَابًا وَاصِلًا      وَيَعُدُّهُ قَوْمٌ عَذَابًا وَاصِبَا  
كَالْبَحْرِ يُهْدِي لِلنَّفُوسِ نَفَاسًا      مِنْهُ وَيُيَدِي لِلْعُيُونَ عَجَائِبَا

فينوه الشاعر إلى عطايا الملك الجزيلة والمفاخر التي كسبها من وراء ذلك وأورثها لبني قلاون:

فَإِذَا نَظَرْتَ نَدَى يَدَيْهِ رَأْيَهُ      لَم تَلْفِ إِلَّا صَائِبًا أَوْ صَائِبَا  
أَبْقَى قَلاونَ الْفَخَارِ بُولَدِهِ      إِرْثًا وَفَازوا بِالثَّنَاءِ مَكَايِبَا

(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٧٧٣)

ابن نباتة المصري شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميفارقين، ومولده ووفاته في القاهرة.

وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة. سكن الشام سنة ٧١٥هـ وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها فكان يتوجه فيياشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١هـ فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن.

قال ابن نباتة يمدح الملك المؤيد أبي الفداء:

لولا معاني السحر من لحاظتها  
سقياً لروضات الشباب وان جنت  
ولدولة الملك المؤيد إنَّها  
ملكٌ ليمناه عوائدُ أنعم  
ما قال إلا في مبادرُ العطا  
شدت لساحته الرحال ففعلها  
أكرم بساحته التي لا صدح  
غذي الرجاء نباتها فانظر لمن  
ما طال تراددي علي أبياتها  
هذي الشجون على قلوب جناتها  
جمعت فنون المدح بعد شتاتها  
ألفت نحاة الجود فيض صلاتها  
وتناول الأمداح هالك وهاتها  
يقضي بنصر الحرف نحو جهاتها  
من ورق الثنا إلا على روضاتها  
وشاه من مدح فم ابن نباتها

(فروخ، ١٩٨٦، ج ٣، ص ٧٩٧)

ونجد أحمد بن علوان أبو العباس صفي الدين و هو صوفي يمني متأدب من قرية  
يفرس (كيفرك) من ضواحي مدينة تعز يمدح الرسول الأكرم ﷺ و الصحابة و من ثم  
يتطرق إلى مدح الذات قائلاً:

تشدو وتنشد من قرائح لبها  
ذاك الرسول أبو البتول بذكره  
أكرم به وبآله وبصحابه  
أحبابنا النزال في أبياتنا  
مدحاً بسيدها وكل مناهها  
تحيا القلوب وتشقى مرضاها  
والتابعين لهم ومن والها  
ورياض بلدتنا وصيف حياها

محمد بن حمير الهمداني. شاعر اليمن في عصره، لزم الملك المظفر (صاحب اليمن)،  
حتى كان شاعره. وله فيه مدائح:

يممي البارق التميمي تلقي  
وأقصدي قأيد الجيوش فعيسى  
ومضاه يسحب السحاب الهطولا  
جوذه طبَّق البلاد سويولا

ونظم الفقيه شهاب الدين بن حجر العسقلاني، قصيدة يمدح بها الخليفة المستعين  
العباسي من خلفاء مصر جاء فيها:

الملك أصبح ثابت الأساس  
رجعت مكائفة آل عم الأطفى  
بأس تعين العادل العباس  
لجها من بعد طول تناس

ينوه الشاعر من خلال مدحه إلى طيب العرق والنسب الصالح لدى الممدوح:

فرعٌ نما من هاشم في روضةٍ      زاكِي المنابتِ طيب الأعراسِ  
كَم نعمةٍ لله كائنت عنده      وكأنَّها في غربلةٍ وتناسِ  
ما زال سرُّ الشرِّ بين ضلوعه      كائنا ر أو صحتُه للأرماسِ

ارماس: جمع رمس وهو القبر (سليم، ١٩٦٢، ٨: ١١٠)

لقد مدح الشعراء الملك الأشرف خليل بن قلاوون من خلال وصفهم للديوان التي بناه الملك وقد فاق بغية الأبنية وصور فيه الأمراء ونفسه والقادة، فوصفه ابن دانيال، مفضلاً إياه علي إيوان كسري و علي إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد و رأي أن التصاوير تضي علي الإيوان جواً من المهابة حتى غياب صاحبه يقول:

ما كان مثلك في الإسلام سلطانُ      ولا تكسرى كذا الإيوانُ إيوانُ  
ذات العماد تبدت في جوانبه      بل جنة الخلد والبواب رضوانُ  
إن غبت عنه فشحص منك يماؤه      مهابةً يتقيها الإنس والجنانُ  
صورت جيشك فيه مثل عاداته      كأنهم في ظهور الخيل سكانُ  
وأنت يا أشرف الأملاك شمسُ علا      شهابها وعلى ظلي سُلَيْمانُ

(الصفدي، ١٩٩٧، ص١٤٤)

و في مقطوعة يتحدث فيها الشاعر عن المنزل حديث المحب، فيبعث فيه الحياة و يجعله يحس بما يحس به، و يشعر بما يشعر به من ذلك مقطوعة للعزازي يصف فيها داراً انتقل إليها ممدوحه، فيجعلها مشرقة الوجه منبسطة الأسارير لسكانها الجديد، أما الدار التي فارقتها فحزينة، أضناها الشوق إليه، أما الممدوح فسعيد في الدارين يراه الشاعر، و في ذلك تورية لطيفة، فيقول:

إن للدار التي استوطنتها      بسنا وجهك إقبال جديد  
وعلي الدار التي فارقتها      أسف في طيه شوق شديد  
و أري كلَّ لسان قاتلا      أنت في الدارين والله سعيد

(العزازي، ١٩٩٨، ١٦٣)

## ٥- مدائح وديّة

نجد بعض المدائح في تلك الحقبة لها طابه ودي وذلك يكون بين التلميذ وأستاذه كما حدث ذلك بين القادرط و جلال الدين السيوطي. وشمس الدين القادري محمد بن أبي بكر ولد في دنجبة قرب دمياط (السخاوي، ١٩٩٨، ج٧، ص ١٨٨) برع شمس الدين القادري في عدد من فنون الأدب وله نظم و نثر. وشعره عادي نمتزج فيه المتانة من تقليد فحول الشعراء بالضعف و تنفق له المعاني الحسان و علي شعره نفحة دينية. يقول شمس الدين القادري في مدحه لجلال الدين السيوطي:

كأن بفيها من سنا العلم جوهرًا	جلاله ((جلال الدين)) فهو منضدُ
إمام اجتهاد عالم العصر عامل	بجامع فضل ناسك متهجّد
ومجتهد قد طال في العلم مدركاً	وباعاً، فضي كل العلم له يد
وقد جاد صيب العلم روضة أصله	قطاب له بالعلم فرع و متحد
فلو أبصر الكفار في العلم درسه	وقد شاهدوا تقريره لتشهدوا

(فروخ، ١٩٨٦، ج٣، ص ٨٩٤)

المتهجّد: الذي يقوم في الليل للعبادة. صيب: انصباب المطر و سقوطه. الفرع: نسل الرجل. المتحد: الأصل النبيل. طاب له في العلم فرع: أي تلاميذه و متحد: شيوخه، آساتذته(عمر فروخ، ج٣، ص ٨٩٤).

وشاعر آخر و هو أحمد بن الفرфор دمشق قسيده له يمدح فيها قانصوه الغوري:

لكالمك بالفتح المبين مُخلّد	لأنك بالنصر العزيز مؤيّد
وكان لك الله المهيم حافظاً	يعينك في كل الأمور ويسعد

(فروخ، ١٩٨٦، ج٣، ص ٩١٥)

وقال محمد بن عمر بن بحرق يمدح تلميذه أحمد بن أبي بكر بن عبد الله العيدوس

إذا سامني الدهر ضيماً و لم	أجد لي علي الدهر من يسعد
فبيني و بين بلوغ المبني	ندائي بالصوت: يا أحمد

(فروخ، ١٩٨٦، ج٣، ص ٩٣٣)

أغراض المدح في الشعر المملوكي ..... (١٩٧)

## ٦- الإمتعاض من التكسب بالمدح:

قال أبو الحسين الجزار المصري بعد أن انتقل من القصابة (بيع اللحم) إلى التكسب بالمدح فلم ينل فيه حظاً:

لا تُعـبـني بـصـنـعة القـصـاب،      فـهـي أـزكـي مـن عـنـبـر الآدـابِ  
كـان فـضـلي عـلـي الكـلاب،      فـمـنـذ صـر  
تأ أديباً رجوتَ فضلَ الكلابِ  
(فروخ، ١٩٩٧، ج ٣، ص ٦٤٤)

## نتائج البحث:

بعد التحري في كتب الأدب و دواوين الشعراء لمعالجة موضوع ((أغراض المدح في الشعر المملوكي)) وصلنا إلى نتائج مرجوة و مفيدة و هي:

إنَّ عصر المماليك بطابعه ما كان يختلف عن العصور الأدبية السابقة فكانت جميع الأغراض الشعرية تُعالج من قبل الشعراء

كان للمدح في هذه الحقبة أغراض عديدة منها دينية و منها دنوية كمدح الرسول الأكرم ﷺ و معارضة البردة و مدح أهل البيت (عليهم السلام) و مدح الأمراء و مدح الذات القريب بالفخر.

إهتم الشعراء بمدح الأمراء والقواد و كانوا من خلال مدحهم يحثون علي الجهاد و تطهير الاراضي من غزو التتر.

كان المدح لديهم يغلب عليه الأسلوب القديم و كان قليل من المدح نحو التكسب و كان البعض يمتعض من التكسب بالمدح.

### قائمة المصادر والمراجع

#### أ: الكتب

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤١٥ق.
٢. أبو ذؤيب الهذلي، ديوان أبي ذؤيب الهذلي، دبي: الموسوعة الشعرية الاصدار الثالث، ٢٠٠٣م.
٣. الحلبي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلبي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، بيروت: دار الأرقم، ط١، ١٩٩٧م.
٤. زركلي، خيرالدين. الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
٥. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٨م.
٦. الصفدي، صلاح الدين، خليل بن بيك، الكشف و التنبيه، تحقيق: هلال ناجي، و وليد بن أحمد الحسين، سلسلة اصدارات الحكمة، ط١: برطانيا - ليدز، ١٩٩٩م.
٧. \_\_\_\_\_، المختار من شعر ابن دانيال الحكيم، تحقيق محمد نايف الدليمي، الطبعة الأولى، الموصل: مكتبة بسام، ١٩٧٩م.
٨. طريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: سيد احمد حسيني، تهران: كتاب فروشى مرتضوي، ١٣٧٥ش.
٩. عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤م.
١٠. العزازي، شهاب الدين، أحمد، ديوان العزازي، دمشق: دار الينايع، ١٩٩٨م.
١١. فروخ، عمر. تاريخ الأدب العربي، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.
١٢. القاسم بن علي بن هتميل دراسة و تحليل لمحمد بن أحمد عيسى العقيلي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتاب العربي ١٩٦١م.

#### ب: رسائل جامعية و مجلات

١. أبو شخند، ياسين محمد ياسين، شعر الأمير مجير الدين بن تميم، جمع و تحقيق و دراسة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠٠١م.
٢. سلوم درغام سلوم، غرض المديح في الشعر العربي، مجلة كفرو الثقافية، العدد/١٣/ كانون الثاني ٢٠١٣م.
٣. سليم، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك، مصر: مكتبة الآداب، ١٩٦٢.